المحاضرة 8
المقاومة الشعبية في السودان

يمكن معالجة موضوع المقاومة الشعبية في السودان من الزوايا التالية:

-الزاوية الأولى: زعيم الثورة وتسميته بالمهدي المنتظر؟:

في ظل ظروف سياسية غير مستقرة، وأوضاع اقتصادية متدهورة، ووضع اجتماعي بكاد يكون منهار تماما، أعلنت الثورة في قالب ديني تحت مُسمى " المهدي المنتظر". فعلى هاته الصورة وعلى هذا المُكنّى التحق بـ الثورة الألاف من السودانيين الذين يعرفون في كثير من المرجعيات بـ "الدراويش".

جاء توظيف هذا المُسمى الديني لضمان أكبر قدر من المشاركين من مُتصوّفة السودان، وهي دعاية قد تجنح بنا إلى القول: إن توظيفها قد اعطى انطلاقة مُوفّقة للثورة؛ ويذكرنا أسلوب الدعاية هذا بما قام به البعض من زعماء المقاومة الشعبية المسلحة كما سبق لنا وأشرنا في محاضرات سابقة.

إن خطاب المقاومة الشعبية الذي تبناه المهدي في السودان ساهم في كسب كثير من الأنصار وفي تعميق الوعي الروحي والرفع من مستوى الجاهزية لحمل راية الجهاد ضد العدو الأجنبي.

-الزاوية الثانية: علية (سببية) الثورة:

تكاد تتفق كثير من المرجعيات أن تراكمات الفساد الإداري الذي عشعش في منظومة الحكم منذ مدة طويلة، قد انعكس بالسلب على مختلف مناحي الحياة بالسودان، فبات الشعب أو الجماهير تتطلع إلى من ينقذها من هذا الوضع المزري، فكانت الفرصة مناسبة للمهدي ليعلن عن ثورته مستغلا هذا الوضع، ولذلك فمشاركة الشعب في الثورة ستكون مشاركة عفوية ارتجالية وعليه فشعبية محمد أحمد المهدي أعطت دفعا قويا للثورة في بدايتها.

-مراحل الثورة:

-المرحلة الأولى:

بناء على المغزى من الثورة في هذه المرحلة، فهي مُوجّهة ضد منظومة الحكم بالسودان، وبالتالي فهي لن تُصنف ضمن المقاومة الشعبية لـ لأوربيين على هذا المُستوى ويمكننا متابعة تجلياتها في ما يلي:

-بعد اعلان نيته في الثورة ضد منظومة الحكم وإقناع أنصاره بذلك، كوّن

المهدي مُعسكرا له في منطقة كردفان مع مطلع سنة 1881.

-منذ البدايات الأولى لتحرك المهدي وأنصاره قامت منظومة الحكم في السودان بتجهيز حملات عسكرية تأديبية ضد المهدي، من أهمها حملة يوسف باشا، لكنها أبيدت عن أخرها مما شجّع المهدي على التحرك أكثر و التقدم باتجاه الخرطوم.

-المرحلة الثانية:

-بعد فرض الحماية البريطانية على مصر والقاء القبض على أحمد عرابي في معركة التل الكبير، لم تتوان حكومة القصر والانجليز في توجيه حملات عسكرية إلى السودان عبر نهر النيل، بالمراهنة على أحدث الأسلحة (المدفعية، الرشاشات، نوعية الجيش وعدده...)، ومن بين هاته الحملات حملة الجنرال "هيكس" غير أنه فشلت في وضع حد لثورة المهدي.

-رغم تمكن الإنجليز من فرض وجودهم السابق وتدعيم وجودهم اللاحق بـ الخرطوم، فإن النفير العام الذي دعا إليه المهدي مع مطلع سنة 1884 لقي آذانا صاغية من الألاف من أنصاره، وبهذه الشعبية الكبيرة التي راحت تحمل كل ما تستطيع حمله من وسيلة للدفاع عن النفس، تمكن من اقتحام الخرطوم [المرجع...] ومحاصرة الإنجليز في شخص المقيم البريطاني "غوردون" حصار استمر لعدة أشهر، منع من خلالها أنصار المهدي تقديم أي دعم أو اسناد له، لينتهي الحصار بمصرعه في الأخير. [المرجع...]

-إن وفاة المهدي المُبكّرة [المرجع...]، في عاصمته الناشئة أم درمان قد عجّل بتراجع الثورة بشكل كبير، وعلى الرغم من أن المهدي قد أوصى بالخلافة من بعده لأحمد التعايشي [المرجع...]، إلا أن بذور الشقاق والخلاف قد دبّت في صفوف الثوار، فكان هذا التطور لصالح العدو.

-لم يُثن مقتل "غوردون" البريطانيين من تجهيز حملة عسكرية ضخمة بقيادة "كيتشنر"؛ اعتمدت فيها على المحور البحري عبر نهر النيل، وراهنت فيها على كل الأساليب والأسلحة الحديثة والخطط العسكرية، هذا إلى جانب القوات المصرية التي اعتمدت على المحور البري، وبناء على عليه تمكنت من الحاق هزيمة كبيرة بالثوار في معركة أم درمان مع حلول في سنة 1898، معركة أعلنت بموجبها إنجلترا فرض الحكم الثنائي البريطاني-المصري. [المرجع...] الذي سيعرف هو الآخر مع مطلع القرن 20 حركة وطنية مناهضة للإنجليز، على غرار الحركات الوطنية التي ظهرت في الجزائر، تونس، المغرب، مصر..إلخ.